التحليل اللغوي والصوتي للنص القرآني
(سورة الناس أنموذجًا)

أ. فوزية علي عمر الغزال
قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة سرت
fawzia.algazal@su.edu.ly

ملخص

لكي نتحسس جمال الآيات القرآنية، ونستمتع بإيقاعها الهندسي المتناسق، لابد لنا أن نستمع إلى أصوات تلاوته، وطريقة التلفظ به، فنقف على إيقاعه الصوتي الرائع، ونتأمل روعة أنغامه.

والسمع هو الملكة الوحيدة القادرة على الوصول بالسامع لتذوق الإيقاع القرآني، وللسمع أيضًا مكانته التي خصها القرآن بآيات كثيرة؛ لتعظيم هذه الملكة فيقول واصفًا حال المشركين، وخوفهم من إلقاء السمع للقرآن، فيؤثر فيهم ، وهناك العديد من الآيات التي تجسد أهمية السمع وتأثيره على النفس البشرية، والأحاديث تطول عن مدى تأثر الكافرين عند نزول القرآن، وتعجبهم من أصواته ونظم حروفه وتناسق موسيقاه، بل لازال إلى يومنا هذا سببًا في دخول الكثيرين إلى الإسلام، فالسمع يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيقاع القرآني، وقد خصها الله سبحانه وتعالى بجعلها أحد صفاته (السميع). وثم يأتي العلم الحديث ليكشف لنا أن السمع أوَّل ما يتخلَّق عند الإنسان، وآخر ما يموت فيه.

ولأهمية الدراسة الصوتية في علوم اللغة الحديثة، قمت بتوضيح الدلالة الصوتية في هذا البحث، وحاولت بجهدٍ متواضع لتطبيق هذه الدلالة على نماذج قصيرة لآياتٍ من القرآن الكريم، متمثلة في سورة الناس.

فقد حاولت تسليط الضوء على صفات الحروف ومدى علاقتها بالمعنى العام للسورة، ودلالة علاقة الحروف ببعضها في تأكيد السياق القرآني للسورة وإبراز المعنى العام لها.

الكلمات المفتاحية: مخارج الأصوات، صفات الأصوات، الدلالات بين اللغة والصوت.

مقدمة:

لكي نتحسس جمال الآيات القرآنية، ونستمتع بإيقاعها الهندسي المتناسق؛ لابد أن نسمع أصوات تلاوته، وطريقة النطق بألفاظه، فنقف على إيقاعه الصوتي الرائع، ونتأمل روعته، ولا يمكن لنا أن نصل إلى هذه المتعة السماعية العالية والرفيعة بالسمع فقط؛ بل بالنظر إلى صورته المكتوبة التي " لا تملك ما يملكه المتكلمون من مناسبة وحركات ونغمة في الصوت وتوضيح للكلام الملفوظ"، وبتجردٍ عن قدسية النص القرآني مكتوبًا وملفوظًا، إلا أنني سأوجه الضوء إلى الصورة الصوتية لما للصوت من أهمية كبيرة في إبراز المعاني، وتوضيح الغرض منها، قال الجاحظ عن الصوت:" هو آلة اللفظ".

والسمع هو الملكة الوحيدة القادرة على الوصول بالسامع إلى تذوق الإيقاع القرآني، وللسمع أيضًا مكانته التي خصها القرآن بآيات كثيرة؛ لتعظيم هذه الملكة فيقول واصفًا حال المشركين، وخوفهم من إلقاء السمع للقرآن، فيؤثر فيهم قائلًا: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [فصلت: 26]، ووضَّح أثره في الجن وانجذابهم لهذه النغمات العجيبة بقوله: ﴿ **قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً**﴾ [الجن: 1]، وغيرها من الآيات التي تجسد أهمية السمع وتأثيره على النفس البشرية، والأحاديث تطول عن مدى تأثرّ الكافرين بنزول القرآن، وتعجّبهم من أصواته، ونظم حروفه، وتناسق موسيقاه، بل لازال إلى يومنا هذا سببًا في دخول الكثيرين إلى الإسلام، فالسمع يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيقاع القرآني، ومعجزاته، وقد خص الله سبحانه وتعالى هذه الملكة به، فجعلها من صفاته (السميع)، ثم يأتي العلم الحديث ليكشف لنا أن السمع أوَّل ما يتخلَّق عند الإنسان، وآخر ما يموت فيه، ولأهمية الدراسة الصوتية في علوم اللغة الحديثة، قمت بتوضيح الدلالة الصوتية في هذا البحث، وحاولت بجهدٍ متواضع تطبيق هذه الدلالة على نموذج قصير من القرآن الكريم، تمثل في سورة الناس؛ لكونها مثال واضح وجليّ يسهل التطبيق عليه، ويعطي قيمة واضحة للدلالة اللغوية والصوتية، إضافة إلى ما تحمله من دلالات خاصة، لها وقعها في نفس المتلقي أو السامع.

كما أُخْترت هذه السورة منفردة دون سورة الفلق؛ لتقيدي بعددٍ محددٍ من الأوراق أولاً، ولكي يتسع لي المجال للتحليل والدراسة ثانيًا، كما أن هناك من جمع بين المعوذتين الأمر

الذي لم يعط سورة الناس حقّها بالدراسة والتحليل، وربما ذلك لوضوح الكلمات فيها، وسهولة المعنى دون العودة للتحليل المعقد، كما أنني آثرت هذه السورة لما فيها من معاني دينية، واجتماعية سامية، والتزام المسلم بقراءتها في ورده اليومي، ولعدة مرات فكان دافعًا لي للتحليلٍ أكثر، وخاصةً الناحية الصوتية فيها، ومدى دلالتها في تفسير هذه السورة .

فالمفردة في القرآن الكريم وظِّفت بدقة متناهية وعناية إلهية فائقة، ومن عدة جوانب، تطرّق الباحثون لمعظمها، وتظل هناك أسرار مجهولة، وخفية تدفع الباحثين إلى يومنا هذا لكتابة البحوث المختلفة، وتدقيق النظر في هذا النسيج البديع، واضعين قوله تعالى ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ [سورة الكهف، 109]، ومن تلك البحوث والدراسات التحليل الصوتي للنص (بعض قصار السور أنموذجًا) رسالة ماجستير: لمهدي عناد أحمد، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011م شملت جميع قصار السور، ووضع إحصائية لكل السور مع التقطيع الصوتي لها، إلا أنه لم يركز كثيرًا على دلالة صفات الحروف، ومع ذلك فقد استفدت منها، واخترت طريقة عرض مغايرة لها، إضافةً إلى التركيز على كلمة (شر) في السورة التي أهملها الباحث، ولم يذكر لها دلالة في السورة، كما ركزت أيضًا على دلالة صفات الحروف ومخارجها بشكل أكثر توسعًا؛ لأهميتها في نظري، وغيرها من الدراسات والبحوث التي تناولت سورة الناس من ناحية الإعراب أو التفسير البياني والتحليل المقطعي، ووجدت من خلال الدراسات السابقة لهذه السورة أن الدراسات قامت بتحليل وتفسير كل ما يتعلق بالسورة باستثناء كلمة واحدة وهي أساس المعنى العام في السورة وهي كلمة (شر)، فمن خلال تتبع التحليل الصوتي الحديث، والدراسات التي قامت على هذه السورة ركزوا على دلالة صوت السين والتكرار، وكل هذه الدراسات أغفلت كلمة (شر) الوارد مرة واحدة، كما حاولت تسليط الضوء على صفات الحروف ومدى علاقتها بالمعنى العام للسورة، ودلالة علاقة الحروف ببعضها في تأكيد السياق القرآني للسورة وإبراز المعنى العام لها.

وقد قُسِّم البحث بعد المقدمة والتمهيد إلى ثلاثة مباحث، يحوي كل مبحث مطلبين، وهي كالآتي:

المبحث الأول: الدلالة الصوتية:

المطلب الأول: المقصود بالدلالة الصوتية عند القدماء والمحدثين.

المطلب الثاني: البناء الصوتي (الصفات المتضادة والمنفردة).

المبحث الثاني: البناء التشكيلي (الظواهر التركيبية، وفوق التركيبية):

المطلب الأول: الظواهر الصوتية: الفونيم – المقطع.

المطلب الثاني: الظواهر السياقية: النبر – التنغيم.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية لسورة الناس:

المطلب الأول: المعنى العام للسورة والمعنى اللغوي ودلالته.

المطلب الثاني: دراسة إحصائية تحليلية للسور، ودلالة التحليل الصوتي لها.

منهج الدراسة:

لقد اعتمدت في هذا البحث السير وفق منهجين: التاريخي، والوصفي التحليلي، أما التاريخي فقد استعرضت من خلاله دراسة الأصوات عند العلماء القدامى، وآراء العلماء المحدثين حول دلالة الصوت، وتحديد صفات الحروف، أما المنهج الوصفي التحليلي فاستعنت به لوصف النظام الصوتي، وتحليل السورة وفقًا للبنية الصوتية، ودلالتها، وقوفًا على الدلالات المستوحاة من هذا النظام.

ووصلت الباحثة إلى نتائج البحث من خلال عرض هذه المباحث، ومن البيان الإحصائي للسور من ناحية الصوت، ودلالته، وذلك من خلال خاتمة وضعت الملخص النهائي لهذا البحث المتواضع جدًا، راجية التوفيق من الله، والفائدة لأهل هذه اللغة العظيمة، خدمة للقرآن الكريم، ولو بشيءٍ بسيطٍ، فلي طمعٌ في حسنةٍ يكتبها سبحانه وتعالى لي، بدراسة حرف من حروفه كتابه المضيئة.

المبحث الأول: الدلالة الصوتية:

الدلالة الصوتية هي «الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات، فإذا حدث إبدال، أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى» (أنيس، 1976، ص46) أو هي «المعاني المستفادة من نطق ألفاظ معينة».(النجار، 2007، ص2).

وقد احتلت الدلالة الصوتية مكانًا قويًا بين دلالات السياق القرآني، إضافةً إلى الدلالاته الصرفية، والنحوية، والسياقية، والمعجمية، وربما كانت الدلالة الصوتية هي الأبرز من بينها، حيث إن القرآن لم يكن مكتوبًا؛ بل كان يسمع تلاوةً، وتتناقله الألسن، فكان لسماع ألفاظه المتناسقة، والمختارة بدقة حسب ما يتطلبه الموقف، والسياق مصدر إبهارٍ للسامعين، وإن كانوا غير مدركين لدلالة تلك الأصوات، سوى ما شدَّ سليقتهم السليمة في انتقائهم للألفاظ، حتى ظهرت دراسة هذه الدلالة الصوتية، وأصبحت محور اهتمام اللغويين قديمًا وحديثاً؛ لتكتمل الصورة في عيني القارئ، والسامع، وتعظم بداية تلك المعجزة اللغوية المحفوظة ﴿ بلسان عربي مبين ﴾. [الشعراء: 195]

المطلب الأول: المقصود بالدلالة الصوتية عند القدماء والمحدثين:

أولاً: الدلالة الصوتية عند القدماء:

تنوعت الدراسات قديمًا حول الصوت، وكانت البذرة الأولى هي ملاحظة مخارج الحروف وصفاتها؛ فأوَّل من نبَّه إلى أهمية الأصوات وصلتها بالدرس اللغوي، والنحوي، والصرفي هو الخليل بن أحمد الفراهيدي وكتابه (العين) الذي ألفه نسبة إلى مخارج الحروف مشيرًا إلى صفات الحروف ليكون رائد هذا العلم، وتبعه تلميذه سيبويه مغيّرًا في صفات بعض الأصوات، ومحددًا لها بدقة، صفَّة ومخرجًا. (عبد التواب،1997)، كما عدَّ الجاحظ دلالة الصوت من أقوى الدلالات وهو المفهوم من قوله: "و الصوت هو آلة اللَّفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا، ولا منثورًا إلا بظهور الصوت" (الجاحظ، 1998م، ج1/ 79)، ويفهم منه أيضاً أن اللفظ مكون من مقاطع صوتية تتألّف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني عديدة.

وسار على طريقه ابن جني ورسخ هذا العلم وتعرض لقضايا الصوت، ومصدره، وكيفية حدوثه، واختلاف مقاطعه، والفروق بين كل صوت، موضحًا للصوائت، والصوامت، إضافةً إلى تطرقه إلى نشأة اللغة، ونظرية المحاكاة في كتابة (سر صناعة الإعراب). (ابن جني، 1985)، وفطن للدلالة الصوتية، في كتابه (الخصائص) فأولى اهتمامًا كبيرًا لها، حيث نراه يخصص لها حيّزًا واسعًا فيه، وقد تناولها بالبحث والدراسة في عدة أبواب منه، مثل: (باب في الاشتقاق الكبير)، و(باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، (ابن جني، ج2/ 147)،

و(باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، (ابن جني، 1985،ج154/2) وغير ذلك مما جاء مفرقاً في أبواب الكتاب، والدلالة الصوتية عند ابن جني نجدها تحت اسم الدلالة اللفظية، ويعدها من أقوى الدلالات حيث يقول: "اعلم أن كلَّ واحد من هذه الدلالات معتدٍ مراعىً مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية" (ابن جني، 1985م، ج3/ 100)، وأرجع سبب قوة الدلالة اللفظية عن الدلالات الأخرى إلى أن معرفتها تتوقف على الأصوات المكونة للكلمة، فاسم الفاعل "قائم" من قام، ودلالة لفظه على مصدره، فلفظه يفيد الحدث الذي هو القيام، وصيغته وبناؤه يفيد كونه صاحب الفعل فـ(قام) مثلاً، بوحداتها الصوتية تدل على القيام، أي أننا وقفنا على الحدث من خلال البنية اللغوية للكلمة، وهكذا كلّ فعل بأصواته يؤدي معنى الحدث، " فالضرب والقتل نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما" (ابن جني، 1985م،ج3/ 103) أي أن كلّ واحد منهما يدل على حدثٍ مغايرٍ للآخر تبعًا لاختلاف أصواتهما، فاختلاف الأصوات بين ضرب وقتل، هو الذي أدى إلى اختلاف المعنى لما تدل عليه أصوات كلّ كلمة من دلالات، تبعًا لملامحها المميزة لها.

أما عند علماء التفسير وخاصة ممن عُني بجانب التجويد نجد اهتمامًا بارزًا للدرس الصوتي، خاصةً فيما يتعلق بالأداء الصوتي الدقيق لآيات القرآن الكريم، وصفات الحروف همسًا، وجهرًا، وشدةً، ورخاوًة، وتوسطًا وغير ذلك من المد، واللين، والتكرير، والتفشي، والإدغام، والإخفاء، وأحكام الوقف، والسكت، وغيرها مما يصبُّ في صميم الدرس الصوتي الحديث.

فنجد ابن قيم الجـوزية، يؤكـد أن العلاقة بين اللفـظ ومعناه عـلاقة طبيعية، ويستدل لذلك بأمثلة عديدة حيث يقول : « والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولاً وقصراً، وخفةً وثقلاً، وكثرةً وقلةً، وحركةً وسكوناً، وشدةً ولياً، فإن كان المعنى مفرداً أفردوا لفظه، وإن كان مركباً ركبوا اللفظ، وإن كان طويلاً طولوه كالقطنط، والعشنق للطويل، فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه، وانظر إلى لفظ بحتر وما فيه من الضم والاجتماع لما كان مسماه القصير المجتمع الخلق، وكذلك الحديد، والحجر، والشدة، والقوة، ونحوها تجد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها، وكذلك لفظ الدوران، والنزوان، والغليان، وبابه، في لفظها من تتابع الحركة

ما يدل على تتابع حركة مسماها. كذلك الدّجال، والجراح، والضراب، والأفاك في تكرر الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرار المعنى » (ابن القيم، 1996م، ج1/ص 116)، فابن القيم يؤكد أن الزيادة في المبنى (حروف الكلمة) تدل على الزيادة في المعنى، (الدلالة) وأن للحرف المضعف دلالة على تكرار معناه، وأن أوزان العربية لها دلالات معينة.

ثانياً: الدلالة الصوتية عند المحدثين

أشار صبحي الصالح إلى ملاحظة العماء قديماً "من مناسبةِ حروفِ العربيّةِ لمعانيها، وما لمحوه في الحرفِ العربيّ، من القيمةِ التعبيريّةِ الموحية، إذْ لم يَعْنِهم من كلِّ حرفٍ أنّه صوت، وإنّما عناهم من صوتِ هذا الحرفِ، أنّه معبّرٌ عن غرض ، وأنَّ الكلمة العربية، مركّبةٌ من هذه المادّةِ الصوتيّةِ، التي يمكنُ حلُّ أجزائِها، إلى مجموعةٍ من الأحرفِ الدوالِّ المعبّرة؛ فكلُّ حرفٍ منها يستقلُّ ببيان معًنى خاصّ؛ ما دامَ يستقلُّ بإحداثِ صوتٍ معيّن.وكلُّ حرفٍ له ظلٌّ وإشعاع، إذ كانَ لكلِّ حرفٍ صدىً وإيقاع (الصالح، 2004م، ص142).

فالدراسة الصوتية عند القدماء كانت عبارة عن إشارات متناثرة في بطون الكتب المؤلفة في تلك الحقبة، إذ لم تخصص لها مباحث منفردة، التي استقلت فيما بعد وأصبحت علمًا من علوم اللغة، وذلك بسبب التقدم الحاصل، وتوفير الأجهزة للدارسين في هذا المجال (الزيدي، 2004م، ص32)، حتي وصلت لمباحث جديدة، واصفةً تلك الدلالة، وشاملة لكل جوانبها بشكل حديث، ومتطور، ولازالت الجهود تبذل في دراسة الأصوات ودلالتها، ولازال الباحثون يضعون العديد من الملاحظات الداعمة لعلم الأصوات الحديث، وربطه بتفسير الظواهر الصوتية في القرآن، والشعر، وغيرهما، ومدى علاقة علم الأصوات الحديث بفهم القرآن الفهم الجيد، وإدراك دلالة الإعجاز اللغوي الكبير من خلال دلالة الأصوات، وقد استفاد المحدثون كثيرًا من علماء اللغة والنحو القدامى، كما تأثروا بما وصل إليه الغرب في مجال علم الأصوات، أمثال: إبراهيم أنيس، وتمام حسان، وكمال بشر، وغيرهم.

فقد "اهتم اللغويون العرب في العصر الحديث، بفكرة دلالة الألفاظ حيث بذل أحمد فارس الشدياق جهدًا كبيرا في استنباط دلالة الحروف، فرأى أن حرف الحاء يدل على السعة، والانبساط نحو البداح، والبراح، والأبطح، وحرف الميم يدل على القطع، والاستئصال، والكسر نحو حسم، وحطم، وخرم، وخضم " (مصطفى، 2002م، ص12)

كما اقتنع بوجود دلالة مشتركة يوحيها الصوت على الكلمات التي تتألف منه، واهتم العلايلي بمعاني الحروف حيث وجد الهمزة تدل على الجوفية ، والباء على بلوغ معنى الشيء، والتاء على التعلق بالشيء، والجيم على العظم مطلقاً، وهكذا باقي الحروف (علي، 1985، ص63).

والعقاد كانت نظرته إلى معاني الحروف أعمق من معاصريه اللغويين، فقد رأى أن دلالة الحروف تتنوع طبقاً لموقعها في الكلمة، وأن هناك ارتباطاً بين بعض الحروف ودلالة الكلمات وأن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية، وأن العبرة بموقع الحروف من الكلمة لا بمجرد دخولها في تركيبها (العقاد، 2012م، ص36)، ونجد صبحي الصالح يؤيد ابن جني في مناسبة اللفظ للمعنى، المناسبة الطبيعية، مؤكداً أن اللغويين عامة، والعرب منهم خاصة أقرب ما يكونوا من ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني، واعتبر ذلك فتحاً مبيناً في فقه اللغات عامة (الصالح، 2004، ص151)، ومن المؤيدين لهذه المناسبة الطبيعية ابن المبارك، حيث اعتبر " أن للحرف في اللغة العربية إيحاء خاصًا يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه، وإيحاء، ويثير في النفس جوًا يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به" (ابن المبارك، 1964م، ص261)، وخالفهم في ذلك إبراهيم أنيس فقد اعتبر أن الألفاظ رموز على الدلالات، يصلح أن يتخذ كل منها للتعبير عن أي معنى من المعاني ، ومثَّل لذلك كلمة (شجرة) إذ لم يجد فيها ما يدل عليها من فروع وأوراق وغيرها؛ ولذلك يمكن أن تسمى بأي لفظ آخر يصطلح عليه الناس، (أنيس، 1976، ص72)، معبرا عن ذلك بقوله: "ولا شك أن الذين ينكرون الصلة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطبيعة اللغوية " (أنيس، 1966، ص130)، كما رفض عبده الراجحي أيضا المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، واحتج بكلمة رجل التي تختلف أصواتها من لغة إلى أخرى بألفاظ متباينة، اصطلح عليها دون أدنى علاقة تربط اللفظ بالمدلول (الراجحي، 1972)، وقد نفى محمود فهمي حجازي أيضًا وجود أي قيمة ذاتية طبيعية تحملها الرموز اللغوية من شأنها أن تربطها بمدلولها الخارجي «فليس هناك أية علاقة بين كلمة حصان ومكونات جسم الحصان »(حجازي، 1997، ص11)

وإذا كانت هناك ثمة علاقة بين اللفظ والمدلول؛ فإنها لا تعدو على كونها اصطلاحية عرفية، ومنهم من تعرض إلى خصائص الدرس الصوتي، وعلم الدلالة، ومدى ارتباطه بالقرآن الكريم، باعتباره مصدر اللغة العربية الأول والأساسي، فسخروا البحوث، والدراسات لتوضيح الظواهر الصوتية الواضحة، والخفية للقرآن الكريم، كالحركة، والإيقاع، ودلالة المقطع، والفواصل، والجرس الصوتي المتناسق، وغيرها من العناصر الصوتية أمثال هؤلاء: الباقلاني، والخطابي، والرافعي، وسيد قطب، بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، محمد الصغير، وغيرهم.

المبحث الثاني

البناء الصوتي (الصفات المتضادة والمنفردة)

يُقصد بالصوت الأثر السمعي الذي يصدر عن أعضاء النطق، فـ« الصوت اللغوي هو إدراك سمعي ناتج عن تذبذب جزئيات الهواء الملامس للأذن بسبب حركات الجهاز النطقي» (أبو الهجاء، 2006، ص14).

أما مصطلح البنية الصوتية، فقد عنيت به المكونات الصوتية التي يتألف منها الكلام، وبذلك تكون الأصوات بقسميها الصوائت، والصوامت أولى مكونات البنية الصوتية، مشتملة على المخارج والصفات التي تلازم هذه الأصوات، أما المكونات الأخرى للبنية الصوتية فهي المقاطع الصوتية، والنبر، والتنغيم (إبراهيم، 2002، ص16)، و"مصطلح الصوت في الدراسات التراثية العربية يقابل الحرف" (ابن جني، 1985، ج6/1) وهو المقصود هنا في هذه الدراسة، وعلم الأصوات أو الصوتيات" يهتم بدراسة الصوت الإنساني" (السعران، ب ت ، ص98)، من حيث الصفة والوظيفة منقسمًا إلى فرعين: علم الفونتيك، والفونولوجي.

فالأول: يدرس الأصوات في حد ذاتها، وصفاتها من حيث إخراجها، وسماعها، والثاني يدرس وظيفتها في الاستعمال اللغوي، « والصفة الصوتية هي الأثر السمعي الناتج عن حركة من حركات عضو واحد أو عدد من أعضاء النطق» (أيوب، 1968، ص133)، وتشترك الأصوات في بعض الصفات، وتختلف في المخرج، وقد تشترك في بعض الصفات، وتختلف مع البعض والمخرج واحد، وتنقسم الصفات الصوتية إلى: متضادة – ومنفردة.

أولاً: المتضادة: نقصد تلك الصفات التي تكون متضادة في صفتها وكيفية حدوثها وهي:

1- الجهر، والهمس: فالجهر: هو الصوت الذي يصاحبه اهتزاز في الوتران الصوتيان عند النطق به، والهمس: هو الصوت الذي لا يصاحبه اهتزاز في الوتران الصوتيان عند النطق به (زوين 1986، ص70)

2- الشديد والرخو: فالصوت الشديد: هو الذي يحدث بحبس الهواء في المخرج، ثم انطلاقه، (السعران، ص153)، والرخو: هو الصوت الذي يضيق مجرى الهواء في مخرجه، واصطلح المحدثون على تسمية الأصوات الرخوة بالاحتكاكية (زوين، 1986، ص67) وهي: حرف الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والظاء، والزاي، والسين، والثاء، والذال، والفاء، (سيبويه، 1988، ج4، ص434/ حسان، 1990، ص87).

ولابد هنا من الإشارة إلى أصوات متوسطة تقع بين الشدة والرخاوة، وهي: الألف، العين، الياء، اللام، النون، الراء، الميم، الواو (السعران، ص92)، وحدد القدامى الأصوات الشديدة في الباء، والتاء، والدال، والطاء، الكاف، القاف، الهمزة(*) والجيم. (سيبويه: 1988، ص434، ابن جني، ص61)

3- الاستعلاء والاستيفال: الاستعلاء وهو: ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف كما في الخاء، والصاد، والضاد، والغين، والطاء، والقاف، وما عداها فهي حروف الاستيفال هو ضد الاستعلاء ففيه ينخفض اللسان عند الحنك الأعلى إلى قاع الفم عند النطق بالحرف.

4- **الإطباق والانفتاح:** الإطباق وهو ما ينطبق فيه اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق

(*) اختلف في الهمزة من حيث الجهر والهمس، بين القدامى والمحدثين بينما اتفقوا في شدتها، فيرى سيبويه أنها" حرف شديد مجهور"، ورأى هنفر بأنها : "صوت شديد مهموس"، ورأى بعض المحدثين أمثال دانيل جونز و إبراهيم أنيس ومحمود السعران بأنها لا هي مهموسة ولا مجهورة، الأمر الذي أيده عبد الصبور شاهين وفصله في كتابه القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث (شاهين، 1966، ص24-25).

بالحرف، وعرَّفه ابن جني:« أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقًا له»، (ابن جني، 1985، ج70/1)، كما في: الصاد والضاد والظاء، وتتفاوت هذه الحروف في صفات القوة والضعف وعدَّ المحدثون الحروف المفخمة من صفاتها الإطباق، كالراء واللام والقاف والخاء والغين (زوين، 1986).

ثانيًا: الصفات المنفردة: هناك صفات تتفرد بها بعض الأصوات، فلا تشترك مع غيرها في موضع إخراج الحرف ولا صفته كالصفات المتضادة وهي:

1- **الصفير** « وهو ما يميز الصاد والسين والزاي عند خروجهن. وسببه انحصار النفس عند خروجهن بين طرف اللسان وصفحتي الثنايا العليا، فيصفر في خروجه بسبب ضيق منفذه » (حسن، 2006، ص66)

2- **التكرير أو التكرار** وهو: « التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقًا لينًا يسيرًا مرتين أو ثلاثًا لتتكون الراء العربية » (أنيس، (ب ت)، ص57)

3- **التفشي**: " والمراد هنا انتشار خروج هواء النفس – في نطق الشين – بين اللسان والحنك بسبب انبساط مقدم اللسان عند النطق بهذا الحرف. وقد نسبت صفة التفشي إلى حروف أخرى(*) أيضا". (جبل، 2006، ص68)

4- **الاستطالة**: وتعني امتداد الصوت عند النطق بالحرف. كما في امتداد صوت الضاد من أول حافة اللسان إلى آخره.

5- **الغنَّة (أو الأنفية)** وهي: " بأن يحبس الهواء حبسًا تامًا، في موضع من الفم ولكن ينخفض الحنك اللين، فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف" (السعران،168)، وهذا ما يمتاز به حرفي النون والميم.« والأصوات الأنفية من الأصوات الرنانة ذات الجرس العالي في اللغة العربية، وهو جرس يستلذَّه السمع بما يشكله من صور سمعية، تتساوق مع النغمة التي جرسها من جوهر الغُنَّة، وهي مبعث التطريب وعنصر رئيس من

(*) حروف التفشي وهي أربعة مجموعة في قولك مشفر وهي حروف فيها غنة، ونفش، وتأفف، وتكرار، وإنما قيل لها حروف التفشي وإن كان التفشي في الشين خاصة لأن الباقية مقاربة له؛ لأن الشين بما فيه من التفشي ينتشر الصوت منه ويتفشى حتى يتصل إلى مخارج الباقية (أبو شامة،ج2، 753).

عناصر البيان المنتج للمعنى » (نور الدين، 1992م، 226-227، بركة، 118)

6- **الانحراف (أو الأصوات الجانبية)**: « يتصل طرف اللسان خلف الأسنان العليا بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم تمنع تيار الهواء من المرور، إلا من منفذ يسمح للهواء بالانسياب من أحد جانبي الفم أو كليهما، وهذا هو معنى الجانبية » (النوري، 2007م، ص164)، وهذه الصفة ينفرد بها صوت اللام، وهذه الصفة تكسب الصوت قوة ووضوحًا في السمع، وذلك بسبب تلك الوضعية التي يتخذها اللسان في أثناء النطق بهذا الصوت، يتسرب الهواء سريعًا ليؤدي إلى زيادة في الذبذبة والتردد الموجي الذي يزداد تبعًا لها، فيكسب الصوت الوضوح والقوة في السمع.

ذكر محمود السعران في كتابه علم اللغة مقدمة للقارئ العربي أن: « أن المتكلمين العرب يستعملون نوعين رئيسيين من اللام، اللام المفخمة واللام المرققة: الأولى كلام (الله) والثانية كلام (لك)"، وأضاف أن الفارق بين المرققة والمفخمة " هو فارق في الرنين ففي المرققة يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب (وسط الحنك) فيكون له رنين شبيه برنين الصوائت الأمامية مثل يا (في)، أما في المفخمة فيرتفع أقصى اللسان نحو(الحنك اللين)= (أقصى الحنك) فيكون له رنين شبيه برنين (الصوامت الخلفية) مثل ألف قال » (السعران، ب ت، ص170).

7- **الصوت المركب**: « وينطبق هذا الوصف على صوت الجيم، كما ينطقه المتخصصون في اللغة العربية، وقراء القرآن الكريم في مصر الآن » (بشر، 2000، ص15)، واعتبر إبراهيم أنيس بعد أن عرض عدة طرق لنطقه، أن الأرجح هو أن صوت الجيم الفصيحة صوت شديد مجهور، مع تحفظه على قوة شدته فقد اعتبره قليل الشدة. (أنيس، ب ت، ص70) لذا فإن عدّ الصوت يكون ذا أهمية في اللغة العربية، وعنصرًا إيجابيًا في فهم المعنى، فـ «للحروف في اللغة العربية إيحاء خاص، فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه، وإيحاء، ويثير في النفس جوًا يُهييء لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحي به» (المبارك، 1964، ص261).

المبحث الثاني

البناء التشكيلي (الظواهر التركيبية، والفوق تركيبية)

الطلب الأول: الظواهر الصوتية: (الفونيم – المقطع)

أولًا: الفونيم:

يطلق الفونيم أو ما يسمى بـ (الوحدة الصوتية) على: " أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني" (مختار، 1997، ص179) ويدخل تحت هذا التعريف كل أصوات اللغة العربية حروفًا، وحركات (الفتحة– الضمة– الكسرة) وكذلك الحركات الطويلة (الواو، والياء) فتشمل أربعة وثلاثين وحدة صوتية، أو (فونيمًا)، وكل وحدة من هذه الوحدات لا ترد في الكلام المنطوق بصورة واحدة؛ بل تتعدد صور الفونيم الواحد بتعدد السياقات الكلامية التي يقع فيها، فقد يرد الصوت الواحد مرققًا مرة، و مفخمًا مرة أخرى، ومن صور ذلك في اللغة العربية صوت (النون) فهو أسناني لثوي، ويتغير إلى شفوي إذا جاور الباء الشفوية كلفظة (انبهر)، ويتضح ذلك أيضًا في نطق النون الساكنة في: (إن ثاب/ إن شاء/ من يكن)، ففي كل لفظة من الألفاظ، نجد النون قد اختلفت في موضع النطق بها، إلا إنها في كلٍّ تسمى وحدة صوتية واحدة هي صوت النون، فهذه الصورة النطقية المختلفة للوحدة الصوتية الواحدة، أو للفونيم الواحد سواء في الأصوات أو الحركات، على مستوى الكلمة المفردة، أو على مستوى السياق، لا يترتب عليها عادة تغير دلالي، ولهذا فإن هذه الأصوات الجديدة لا تُعَدّ وحداتٍ صوتيةً أو فونيمات، وإنما هي تنوعات صوتية، ويطلق عليها (ألفونات) وواحدها (ألفون).(النوري،2007، ص122)، « فإذا تأثر صوت ما بسبب موضعه في الكلمة فيكتسب صفة غير صفته، كأن تتحول الباء المجهورة إلى باء مهموسة في الكلمة دون أن يتأثر المعنى، فإن هذا الصوت لا يكون وحدة صوتية، وإنما تنوعًا صوتيًا، أو (ألفونا) مثل كلمة (كبت) فالباء هنا مهموسة بسبب من وضعها بين صوتين مهموسين، وهو تنوع للباء، أما كلمتا (كتب– كاتب) فإن الحركة هنا وحدة صوتية، أو فونيم » (الصيغ،2007، ص226)، وقد صنف الفونيم من بعض اللسانيين إلى صنفين:

– الفونيم الرئيس (أو الفونيمات التركيبية أو القطعية).

– الفونيم الثانوي (أو الفونيمات فوق التركيبية أو غير القطعية).

1-**Segmental Phoneme**: ويراد به الوحدات الصوتية: كالباء، والتاء، والثاء...إلخ، وكذلك الحركات (الفتحة/ الكسرة / الضمة).

2-**Suprasegmenal Phoneme**: ويراد به كل الظواهر والصفات الصوتية المؤثرة في الكلام المتصل، التي تجعل له مغزى معين* مثل: درجة الصوت/ النغمة / النبر / التنغيم / القصر والطول للحركات وغيرها.

ثانيًا: المقطع:

يُعرِّف شاهين المقطع بأنه:« مزيج من صامت وحركة يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بِنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي" فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين، يمكن أن تنتج إيقاعًا يعبر عنه مقطع مؤلف في أقل الأحوال من صامت وحركة (ص+ح) » (شاهين، 1980، ص38)، وتتميز اللغة العربية عند النطق بمجاميع من المقاطع كل مجموعة تسمى عادةً بـ (الكلمة)، فالكلمة تتكون من مقطع واحد، أو عدة مقاطع متصلة ببعضها اتصالًا وثيقًا، أثناء النطق، وتكون واضحة في السمع، واللغة العربية يكثر فيها المقاطع المغلقة، رغم وجود المقاطع المفتوحة والمغلقة، وينعدم فيها وجود المقاطع المكونة من نواة صائتة فقط (شاهين، 1980، ص42 ، أنيس، ب ت، ص92-93)

أنواع المقاطع الأساسية في اللغة العربية اثنان هما:

(صامت+ صائت) و(صامت+ صائت+ صامت) يضاف إليهما نوع ثالث لا يوجد إلا في حالة الوقف، وهو:

(صامت+ صائت+ صامت+ صامت)، ويتفرع منها أنواع فرعية خمسة هي مجمل ما نصادف في اللغة العربية من مقاطع، ويمكن تمثيلها في الشكل رقم (1):

الأنواع الأساسية	الأنواع المتفرعة منها
صامت + صائت	صامت + صائت قصير
	صامت + صائت طويل
صامت + صائت طويل +صامت	صامت + صائت قصير + صامت
	صامت + صائت طويل+ صامت
صامت+ صائت+ صامت+ صامت	صامت + صائت قصير+ صامت +صامت+ صامت

الجدير بالذكر أن المقطع في اللغة العربية يبدأ بصامت، أو نصف صائت، فامتناع التقاء الساكنين أي(صامتين) في العربية، جعل من المؤكد أن كل مقطع عربي لابد أن يبتدئ بصامت واحد، و لا يتبعه صائت، فتكون الصورة البسيطة للمقطع العربي هي: (صامت + صائت)، وهو المقطع الذي يكثر في العربية، وخاصةً في الأفعال الثلاثية مثل: ضرب، فرح، وقد يكون الصائت قصيرًا، أو طويلًا، والعربية تنتهي فيها الجمل بالمقاطع المغلقة، أي التي تنتهي بصامت.

وللمقاطع الصوتيّةِ، كغيرها من العناصر الصوتيّةِ في النصِّ، أثرُها البيّنُ في الموسيقى اللّغويّة؛ بصفتِها الهيكلَ التنظيميَّ، الذي تتألف فيه الأصوات اللّغوية؛ مشكلة بذلك الكلام.

المبحث الثاني: الظواهر السياقية: النبر – التنغيم:

إن الترتيب الصوتي لألفاظ القرآن الكريم يتسم بصفة التناسق بين أصواته، وهذا ما نلاحظه على مستوى اللفظة المفردة بصورة خاصة، وعلى مستوى العبارة بمجملها في النظام التركيبي للسياق القرآني بصورة عامة، فلا نجد في أصواته أي انتقال مفاجئ، أو بعيدٍ من حيث شدة التقارب المؤدي للتنافر بين أصواته، والذي يخلُّ بجمال هذا الانسجام، والتناسب، والتناسق بين أصوات اللفظة الواحدة، أو أصوات الألفاظ المجاورة لها.

فهذا التناسق الذي يحدث مع الأصوات الأخرى المكونة للفظة يشكل في مجملها تناغمًا صوتيًا موسيقيًا، يعطي للفظة جمالًا وإيحاءً دلاليًا مع الألفاظ المجاورة لها، لتُكون النسيج الصوتي الذي ينتج عنه المعنى الدلالي للعبارة داخل السياق. ونجد كذلك أن النسق الصوتي في المفردات القرآنية لا يهتم بمسألة تعديل الحروف، في المفردة وعدم تنافرها فحسب، وإنما يرتبط كذلك بعامل الدلالة داخل المفردة نفسها، أو ما يطلق عليه المحدثون: « بالقيمة التعبيرية للصوت داخل المفردة في النسق الصوتي » (ابن المبارك، 1964، ص103)، وتتكون (اللفظة المفردة) من عدد من الفونيمات المتتابعةّ، وهذه الفونيمات تكون فيما بينها مقاطع الكلمة، ونلاحظُ أن تلك الفونيمات، وهاتيك المقاطع تتفاوت فيما بينها من حيث النطق قُوةً وضُعفًا، (خليل،1998، ص43)، وهذا التفاوت في درجة الوضوح يسمى نبراً؛ لأن الصوت أو المقطع المنبُور ينُطق ببَذلِ طاقة أكثر نِسبيًا، ويتطلبُ من أعضاء النطق مجهودًا أشد،(بشر، 2000، ص513) بحيث تنشُط عضلات الرئتين نشاطًا كبيراً، كما

تقوى حركات الوترين الصوتيين، ويقترب أحدهما من الآخر ليسمحَا بتسرُب أقل مقدار من الهواء، فتعظم بذلك سَعة الذبذبات، ويترتبُ عليه أن يُصبِح الصوتُ عاليًا وواضحًا في السمع؛ (أنيس، ب ت، ص97) إذا قُورن بغيره من المقاطِع.

أولا: التنغيم:

التنغيم هو« عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلاميٍّ مُعين« (مختار،1998، ص93)، والنغمة هي جرسُ الكلامِ وحُسنُ الصوت بين القراءة ونحوه، والتنغيم ظاهرة من الظواهر الفَوق تركيبية مُتعلقة بدرجة الصوت فهو يدُل« على اِرتفاع الصوت، أو اِنخفاضه في الكلام» (حسان، 1990، ص164)، وهذا التغير في الدرجة يرجع إلى التغير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية؛ لذلك فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي في الكلام (السعران،192)، فكثير من الدارسين يُطلقون على التنغيم اسم ((موسيقى الكلام)) (أنيس، ب ت، ص103، بشر، 2000، ص533، قدوري، 2004، ص233)

وحدد الدكتورُ إبراهيم أنيس، قيمة التنغيم الموسيقيّةِ بـ « أنَّ موسيقى الشعر العربيّ، تتكوّنُ من عنصرين رئيسين: ذلك النظام الخاصِّ في توالي المقاطع؛ المتمّثل في البحور الشعريّة، ومراعاةِ النغمةِ الموسيقيّةِ الخاصّةِ (Intonation)، في إنشاده فليس ترتيبُ المقاطع الصفة الوحيدَة، التي يتكونُ بها النظم؛ بل لا بدَّ معها حينَ الإنشاد، من مراعاة هذه النغمةِ الموسيقيّةِ الخاصّة(Intonation) (أنيس، 1952، ص149)، واعتبر جون ليونز التنغيم يقوم مقام علامات الترقيم في الكتابة، ويعبر عن المواقف الشخصية للمتكلم كالغضب، والسخرية وغيرها (ليونز،1987، ص32)، فعن طريق هذه التغيرات تستطيع اللغة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة، وعن المشاعر والانفعالات فتستعمل تنغيمًا خاصًا للتعبير عن الرضَا، والغضب، والسخرية، والتهكم وغيرها، من المشاعر والأحاسيس التي لا يمكن كتابتها بالصورة الحرفية (عطية، 1983)، "وتظهر موسيقى الكلام في صورة الارتفاعاتِ، والانخفاضاتِ، أو تنويعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام، إذ الكلامُ – مهما كانَ نوعُه– لا يُلقى على مستوى واحد، بحال من الأحوال » (بشر، 2000، ص533)، وفرق محمود السعران في علم اللغة مقدمة للقارئ العربي بين اللحن (التنغيم)،

والنغمة قائلا: « هناك فرق شاسع بين التنغيم والنغمة فالتنغيم" تقوم فيه درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجُملة أو العبارَة أو الكلمات، أما النغمة فتكون على مستوى الكلمة»؛ إذن، فالتنغيم مُرتبط بالجمل، أو العبارات، أما النغمة فتكون على مستوى الكلمة» (السعران، ب ت، ص192)، وعرَّفه رمضان عبد التواب قائلًا: « أما التنغيم، فهو رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة » (عبد التواب،1997، ص106)، كذلك، ينصُّ الدكتورُ توفيق شاهين، على هذه القيمةِ الموسيقيّةِ للتنغيم، بقولِه :« لو أخذنا نصًا ممتازًا من الشعر، أو النثر، ثمَّ طبّقنا عليه ضوابط التنغيم، عندَ نطقِه، وفي أداءٍ مجيدٍ للإلقاء؛ لأحسست بروعةِ الأداءِ، وجمال المعنى » (شاهين، 1980، ص112) ومن الجدير بالذكر، أنَّ علماءَ التجويدِ القدماء، قد عرفوا التنغيمَ، وأبرزوا قيمَته الموسيقيّة، والدلاليّة في القرآن الكريم (قدوري،2007، ص478-480).

ثانيًا: النبر:

عندما يتحدث الإنسان بلغته يميل عادة للضغط على مقطعٍ معينٍ من كل كلمةٍ فيكون بارزًا، وواضحًا في السمع عن بقية المقاطع، وهذا الضغط عرَّفه المحدثون بالنبر"Accect" Stress (عبد التواب، 1997، ص103)، ويُعرفه تمام حسان بأنه: "وضوح نسبي لصوت، أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام. (حسان، 1990، ص160)، أي أن المقاطع تتفاوت فيما بينها في النطق قوةً، وضعفًا، فالمقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكثر نسبيًا، ويتطلب جهدًا أشد عند النطق به، كالفرق مثلًا في قوة النطق، وضعفه، بين المقطع الأول في: كلمة "ضَرَبَ" والمقطعين الأخيرين "ضَ/ رَ/ بَ"، تجد "ضَ" ينطق بارتكاز أكبر من الراء والباء في الكلمة نفسها. (عبد التواب، 1997، ص103)، وقد لخص الدكتور إبراهيم أنيس، مواضع النبر في الكلمة العربية فقال: « ينظر أولا إلى المقطع الأخير، فإن كان من النوعين الرابع، والخامس، كان هو موضع النبر، وإلا نُظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني، أو الثالث، حكمنا بأنه موضع النبر، أما إذا كان من النوع الأول، نظر إلى ما قبله، فإن كان مثله، أي من النوع الأول أيضًا، كان النبر على هذا المقطع الثالث، حين نعد من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من الآخر، إلا في حالة واحدة، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي

قبل الأخير، من النوع الأول.» (أنيس، ب ت، ص106)، فالنبر يقع على المقطع الأخير في مثل: (نستعين)، و(ذاكرت) ، وعلى المقطع قبل الأخير في مثل: (تعلم)، و(يعادي)، و(قاتل)، و(يكتب)، كما يقع على المقطع الثالث من الآخر، في مثل: (كتب)، و(اجتمع)، وعلى المقطع الرابع من الآخر، في مثل: (بلحة)، و(سمكة).

وعلى الرغم من أن قدامى اللغويين العرب، لم يدرسوا (النبر) بمعنى الضغط على بعض مقاطع الكلام، فإن بعضهم قد لاحظ أثره في تطويل بعض حركات الكلمة، ويسميه ابن جني: (مطل الحركات)، فيقول مثلا: « وحكى الفراء عنهم: أكلت لحما شاة، أراد: لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفا ». (ابن جني، ب ت، ج3، ص123) كما يقول: « وكذلك الحركات عند التذكر يمطلن ... وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت: قمتا، أي قمتَ يوم الجمعة ونحو ذلك. ومع الكسرة: أنتي، أي: أنتِ عاقلة ونحو ذلك. ومع الضمة: قمتو، في: قمتُ إلى زيد ونحو ذلك ». (ابن جنى،ج3/ 132).

المبحث الثالث

دراسة تطبيقية لسورة الناس

المطلب الأول: المعنى العام للسورة و المعنى اللغوي ودلالته.

أولًا: المعنى العام للسورة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ* إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

هذه السورة « مدَنِيَّة هذَا قَول ابْن عَبَّاس وَمُجاهد وعطَاء وقَالَ قَتَادَة مَكِّيَّة، وقد ذكر نظيرتها فِي جَمِيع العدَد على اختلافها، وكلمها عشرُون كلمة، وحروفها تسعَة وَسبعُونَ حرفا كحروف الفلق، وهِي سبع آيَات فِي الْمكِّيّ والشامي، وستٌّ فِي عدد الباقِينَ، اختلافها في آيَة ﴿ الوسواس ﴾ عدهَا المكِّيّ والشامي، ولم يعدها الْبَاقُونَ، ورؤوس الْآي: بِرَبّ النَّاس1، ملك النَّاس2 ، إِلَه النَّاس3، الخناس4، النَّاس5، وَالنَّاس » (الداني، 1994، ص298)

تتحدث هذه السورة عن التعوذ بالله عز وجل من الوسوسة « ومقصودها: الاعتصام بالإله الحق، من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك؛ لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع، وأحسن من هذا: أنها للاستعاذة من الشر الباطن، المأنوس به، المشروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي » (البقاعي، 1987، ج3، ص309-310) وذكر الشهاب على حاشية البيضاوي في تفسير سورة الفلق بأنه مختلف فيها، والصحيح أنها مدنية؛ لأن سبب نزولها سحر اليهود، وهم بالمدينة كما في البخاري وغيره، فلا يلتفت لمن صحح كونها مكية، وكذا سورة الناس (شهاب الدين، ب ت، ج8، ص413)، وشملت هذه السورة على الاستعاذة من شر الوسوسة المسببة للذنوب، والمعاصي كلها، وهي سبب ظلم العبد نفسه، وهذا شر من داخل الإنسان، عكس الشر في سورة الفلق، الذي هو ظلم الغير له بالسحر، والحسد، وهو شر من الخارج، ولا يدخل تحت التكليف، ولا يطلب منه الكف عنه؛ لأنه ليس من كسبه وإرادته، بينما الشر في سورة الناس يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي » (ابن القيم، 1996، ج2، ص474)

بدأت السورة بالْأَمرِ بالقولِ، وفِي الْمَقُولِ، وفِي أَنَّ الْخِطَابَ لِلنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَقْصُودَ شُمُولُهُ أُمَّتَهُ، كَالْقَوْلِ فِي نظيره من سُورَةِ الْفَلَقِ سَوَاءً. (ابن عاشور، 1984، ج30، ص632)، وانفرد أبو حيان بذكر معنى ودلالة السورة في سياق الآيات المشابهة، والمحتوية على الاستعاذة، والتعوذ، والتمسك بذكر الله؛ فكان تفسيره الأشمل لغرض السورة حيث قال: « وَلَمَّا كَانتْ مَضَرَّةُ الدِّين، وهيَ آفَةُ الْوَسوَسَةِ، أَعْظَمَ مِنْ مَضَرَّةِ الدُّنْيَا وَإِنْ عَظُمَتْ، جَاءَ الْبِنَاءُ فِي الِاسْتِعَاذَةِ مِنْهَا بِصِفَاتٍ ثَلَاثٍ: الرَّبُّ وَالْمَلِكُ وَالْإِلَهُ، وإِنِ اتَّحَدَ المطلُوبُ، وفِي الاستعاذَة من ثلَاثٍ: الغَاسقُ والنفاثاتُ والْحاسدُ بصفةٍ وَاحدَةٍ وهي الرَّبُّ، وإِنْ تَكَثَّرَ الَّذِي يُستَعاذُ مِنْهُ » (أبو حيان، 1420 هـ، ج10، ص578-579)

وأيَّد هذا المعنى الشامل الرازي في تفريقه بين التعوذ، وغرضه في سورة الفلق وسورة الناس فقال: «الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ أَنَّ الثَّنَاءَ يَجِبُ أَنْ يَتَقَدَّرَ بِقَدْرِ المطْلُوبِ، فَالمطْلُوبُ فِي السُّورَةِ الْأُولَى سلَامَةُ النَّفْسِ والبَدَنِ، وَالْمَطْلُوبُ فِي السُّورَةِ الثَّانِيَةِ سَلَامَةُ الدِّينِ، وَهَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ مَضَرَّةَ الدِّينِ وَإِنْ قَلَّتْ: أَعْظَمُ مِنْ مَضَارِّ الدُّنْيَا وَإِنْ عَظُمَتْ » (الرازي، ج32، ص378) وجاء في الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ

يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا» (البخاري،1987، ج2، ص717، باب الاعتكاف، برقم 1934) مما يدل على خطر الوسوسة، وشرها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا آوى إلى فراشه جمعَ كفَّيه وَنَفَثَ فِيهِمَا وقرأ: قل هو الله أحد والمعوذتين، ثمَّ مسح بهما ما استَطَاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثَلَاثًا (أبو حيان، 1420هـ، ج10، ص578–579) هذا مما يدل على أهمية هذه السورة في تحصين النفس وتأمينها الإلهي.

ونلاحظ في السورة ترتيب صفات الله والتدرج المصاغ ببلاغة فائقة والمضافة إلى (الناس) لتوحي بمنطقية الصلة والعلاقة بين الناس وربهم، حيث بدأ بذكر الربوبية فهو ربهم العالم بشؤونهم، ثم بيَّن بصفة (الملك) فهم في ملكه، وفي حكمه، وتدبيره، ثم جاء بوصفٍ مبيّنٍ وداعمٍ لما سبقه من أوصافٍ، وذكر الألوهية فهو إلهاهم وخالقهم، والمتصرف فيهم فأكّد بهذا ربوبية الخالق التي تختلف عن ربوبية بعضهم لبعضٍ من خلال هذا التدرج والبيان الدقيق لنوع الربوبية.

ثانيًا: التحليل اللغوي ودلالته:

قوله :﴿ قُلْ ﴾ أسلوبٌ إنشائي، نوعُه الأمر، الغرض منه النُّصح، والإرشاد، والتوجيه، **وقوله** :﴿ **أَعُوذُ** ﴾ فعلٌ مضارع يفيدُ الاستمرارَ، وهو يعني أنْ يظلَّ المسلم معتصمًا بربِّه، عائذًا بمولاه القادر القدير، محتميًا به، ملتجئًا إليه، فإذا تحصَّن كلُّ مسلمٍ بالله، واعتصَمَ به كان في مَأمَنٍ إلهي من الوسوسة، وشرها، **وقوله** :﴿ **بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ الباء هنا للاستعانةِ، فالعَوْذُ يكونُ بالله – سبحانه وتعالى– «**و**أُضِيفَ الرَّبُّ إِلَى النَّاسِ؛ لأنَّ الاستعَاذة من شرِّ الموسوسِ فِي صُدُورِهم، استعَاذُوا بربِّهِم مالكهِم وإلههم، كما يَستَعِيذُ العبدُ بمولَاهُ إِذَا دهمَهُ أَمرٌ » (ابن حيان، ج10، ص578)، وعُرِّف (رَبِّ) بِإِضَافَتِهِ إِلَى النَّاس دون غيرهم من المربوبين؛ لأَنَّ الاستعاذة من شَرٍّ يُلقيه الشَّيطان في قلوب النَّاس فيَضلون ويُضلون، فالشَّر الْمُستعاذ منه مصَبُّه إلى الناس، فناسب أن يستحضر المستعاذ إليه بعنوان أَنه رب من يُلقُون الشرَّ ومن يُلقَى إِليهم لِيصرِف هؤُلَاء، ويدفع عن الآخرين كما يُقالُ لمولَى العبد: يا مولَى فُلَانٍ كُفَّ عَنِّي عبدك.(ابن عاشور، 1984، ج6، ص30–32)، « و(أل) في ﴿ **النَّاسِ**﴾ جنسيَّةٌ؛ فهو ربُّ جنسِ الناس، وإلهُ كلِّ البشَر، لا يشذُّ أحدٌ عن ذلك، والنَّاسِ: مشتق من

الإنس، فإن أصله، أناس، وهو أيضاً: اضطراب الباطن، المشير إليه الاشتقاق من النَّوس، فطابق حينئذ الاسم المسمى. (البقاعي، 1987، ج3، ص309) « قال في القاموس : يكون من الإنس ومن الجن جميعاً، إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه أل – انتهى، ولعل إطلاقه على هذين المتقابلين بالنظر إلى النوس الذي أصله الاضطراب والتذبذب فيكون منحوتاً من الأصلين : الإنس والنوس، ومن ثالث وهو النسيان.» (الفيروزآبادى، 2005، ص579)

وقال ابن عاشور في تفسيره: « لفظ الناس: اسْمُ جَمْعٍ لِلْبَشَرِ جَمِيعِهِمْ، أَوْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ، وَلَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِمْ عَلَى التَّحْقِيقِ.» (ابن عاشور، 1984، ج6، ص30-33)، وفي اقتصار لفظ الناس دون الجنة في قوله: **﴿قل أعوذ برب الناس﴾** أنه لما كان الوسواس يكون من الجِنّة وقد يكون من الناس، والناس هم المعتدى عليهم، جاء في الآية ﴿رب الناس﴾، ولم يقل رب الجِنّة، والناس؛ لأن الناس لما وقع عليهم الأذى استعاذوا، أو أُمروا أن يستعيذوا بربهم؛ ليخلصهم من شر ما أصابهم، وقوله: ﴿**مَلِكِ النَّاسِ**﴾ الملِك (بوزن فَعِل) صفة مُشبَّهة؛ الصفة المشبهة تدلُّ على الصفة ومَنْ ملكَها، على سبيل الثُّبوت، والدَّوام، وفيه كنايةٌ عن طَلاقة القُدرة، والسَّيْطرة الكاملة على الكون، ومَن فيه، وما فيه (البقاعى، 2002، ج8، ص611)

أي: إنَّ امتلاكه للناس أمرٌ على سبيل الديمومة، والأزلية، فهو المتفرّد بالتصرُّف فيهم، والمالك المطلق لهم، وملك النَّاس عطف بَيَانٍ من ربِّ النَّاس، وكذلك إله النَّاس، وقال الزمخشري: هما عطفا بيانٍ، كقولكَ: (سيرة أَبِي حفصٍ عمر الفارُوق) بيّن بملك النَّاس، ثُمَّ زيد بيانًا بِإله النَّاس؛ لِأَنَّهُ قد يُقالُ لغيرِه: ربُّ النَّاس، وقد يُقال: ملكُ النَّاسِ، وأَمَّا إله النَّاس فخاص لا شركَة فِيه، فجعل غاية للبيان"(الزمخشري، 1407هـ، ج4، ص823)، « فهذه الصفات صورة واحدة تعرض منفصلة شكلًا متصلة مضمونًا، وهنا تختلف عن الغرض البلاغي للتكرار في أنها تتصاعد مع المعنى، من الربوبية إلى الملكية، إلى الإلهية، من الكثرة إلى القلة إلى التفرد» (سلطان، ب ت، ص206)، وَالْوَسْوَاسُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّيْطَانِ، وقيل « ما يُوسوسُ به شهواتُ النَّفس، وهو الهَوى المنهِيُّ عنهُ » (ابن حيان، ج10، ص579) وهو اسمُ فَاعِلٍ ويُطلقُ الوسواسُ بفتح الواو مجازًا على ما يخطُرُ بنفسِ المرءِ من الخوَاطر الَّتي يتوهَمُهَا

مِثْلَ كَلَامٍ يُكَلِّمُ به نفسَهُ قال عُروَةُ بن أُذَيْنَةَ:

وَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ الْفُؤَادُ إِلَى الضَّمِيرِ فَسَلَّهَا

وأصل الوسوسة الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يُحس فيحترز منه؛ فالوسواس الإلقاء الخفي في النفس إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد، ومن هذا وسوسة الحلي، وقيل سميت وسوسة؛ لقربها وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة وهو الأذن فقيل وسوسة الحلي؛ لأنه صوت مجاور للأذن كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان (ابن القيم، 1410هـ، ص664)، والتَّعرِيفُ في **﴿الْوَسْواسِ﴾** تعرِيفُ الجنسِ، وإطلاق لفظ **﴿الْوَسْواسِ﴾** على معنيَيه المجازيّ، وَالحَقيقيّ يشمَلُ الشَّيَاطين الَّتي تُلقِي في أَنفُس النَّاس الخوَاطر الشِّرِّيرة، ويشْملُ الوسواسُ كُلَّ من يتكلَّمُ كلامًا خفِيًّا من النَّاس أَصحابُ المكائد، وَالْمُؤَامرات « والْخَنَّاسِ: الشَّديدُ الخَنس، والكَثِيرُه، والمرادُ أَنَّهُ صار عادةً لهُ، والخَنسُ وَالْخُنُوسُ: الاختفَاءُ وَالشَّيطَانُ يُلقّبُ بِالْخَنَّاسِ؛ لِأَنَّهُ يَتَّصلُ بعقل الإِنسان وعزمه من غير شُعُورٍ منه، فَكَأَنَّهُ خَنَسَ فِيهِ، وأَهلُ المكرِ والكَيدِ وَ التَّختُّل خَنَّاسُونَ؛ لِأَنَّهُمْ يتحيَّنُون غفلات النَّاس ويتسَتَّرُونَ بأَنْواع الحيل لكَيلا يشعُر النَّاسُ بهم» (ابن عاشور،1984، ج30، ص633،634)

وَالْخَنَّاسُ: من خنس يخنس إذا توارى واختفى، على وزن فعال «الذي للمبالغة دون الخانس والمنخنس إيذانا بشدة هروبه، ورجوعه، وعظم نفوره عند ذكر الله، حقيقة اللفظ اختفاء بعد ظهور، ولهذا وصفت بهذا الوصف الكواكب في قوله تعالى: **﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾** [الكوثر: 15] قال قتادة: (هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتختفي ولا ترى)، وكذلك قال علي رضي الله عنه: «هي الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى» (ابن القيم، 1410هـ، ص669)

وتأمل كيف جاء بناء الوسواس مكررا لتكريره الوسوسة الواحدة مرارًا حتى يعزم عليها العبد، وجاء بناء الخناس على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل؛ لأنه كلما ذكر الله انخنس ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة فجاء بناء اللفظين مطابقا لمعنييهما (ابن القيم، 1410هـ، ص671)، ونلاحظ أن وصف الخناس مع الوسواس مناسب له في المبالغة، ذلك أن الوسواس على وزن (فعّال) في المبالغة يراد به من تكرر منه الخنوس حتى عُرف به –

وفرق الزمخشري بينهما « (أي: فاعل وفعّال)، أن(فعّالا) لذي صنعة يزاولها ويديمها، وعليه أسماء المحترفين، و(فاعل) لمن يلابس الشيء في الجملة » (الزمخشري، 1993، ص265) وقد يراد به المهنة بحسب قول ابن يعيش في شرحه لقول الزمخشري حيث قال: " وما كان من هذا ذا شيءٍ، وليس بصنعة يُعالجها، أتوا بها على(فاعل)؛ وذلك لأن(فاعلًا) هو الأصل، وإنما يُعدَل عنه إلى (فعّال) للمبالغة؛ فإذا لم تُرد المبالغة، جيء به على الأصل؛ لأنه ليس فيه تكثير"(ابن يعيش، 2001، ج3، ص480)

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ « من: لِلتَّبْعِيضِ، أَيْ كَائِنًا مِنِ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، فَهِيَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ ذَلِكَ الْمُوَسْوِسُ هُوَ بَعْضُ الْجِنَّةِ وَبَعْضُ النَّاسِ » (ابن حيان، ج 10، ص579) "وَالْجِنَّةُ: اسْمُ جَمْعِ جِنِّيٍّ بِيَاءِ النَّسَبِ إِلَى نَوْعِ الْجِنِّ، فَالْجِنِّيُّ الْوَاحِدُ مِنْ نَوْعِ الْجِنِّ كَمَا يُقَالُ: إِنْسِيٌّ لِلْوَاحِدِ مِنَ الْإِنْسِ." (ابن عاشور، 1984، ج30، ص635) وفي تقديم الجِنَّة على الناس معاني دلالية تشمل:

1- " وقُدِّم الجِنَّة؛ لأنهم أصلُ الوَسواسِ بخلاف تقديم الإنس في قوله تعالى: ﴿ وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: 112]؛ لأنَّ خبثاء الناس أشدُّ مُخالطةً للأَنبياء من الشياطين، فإن الله أراد إبلاغ وحيه لأَنبيائه فزكى نفوسهم من وسوسة الشياطين، ولم يعصمهُم من لحاق ضرِّ النَّاس بهم والكيد لهم لضعف خطره، قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 30] ولَكنَّهُ ضمن لرسله النجاة من كل ما يقطع إبلاغ الرسالة إلى أن يتم مرادُ الله." (ابن عاشور، 1984،ج30، ص635) « وفي هذا الموضع قُدمت الجنة على الناس؛ لأن المقام يقتضي ذلك، المقام هنا وسوسة خفية، وإغراء متستر، والجن – حيث يروننا ولا نراهم – أقدر على هذه الوسوسة، وهي بهم أليق، إغراء خفي، ومغر أشد خفاء » (المطعني، 1992، ج2، ص116)

2- وقدم الجنة على الناس؛ لأنهم هم الأصل في الوسوسة، والناس تَبَع، والجنة هم المعتدون على الناس، ووسوسة الإنسي قد تكون من وسوسة الجني، فهم الأصل في الوسوسة، ولا تقع الوسوسة في صدورهم بل في صدور الإنس، وجملة " من الجنة والناس" جملة بيانية " وَوَجْهُ الْحَاجَةِ إِلَى هَذَا الْبَيَانِ خَفَاءُ ما يقع من وسوسة نوع الإنسان فالأمم اعتادت

التحذير من وسوسة الشيطان وخفي عنها أو لم يخطر لها وسوسة هي أشد وأخطر وهي وسوسة بني جنسها ألا وهم شياطين الأنس (ابن عاشور، 1984، ج30، ص635)

ولتقريب المعنى الذي نسج بدقة وارتبط بعلاقة بلاغية، ودلالة صوتية معبرة عن الوسوسة وخفائها ومقرها الصدور التي هي البواطن الخفية أيضا لتناسب معنى الوسواس وخفائه وكذلك علاقة " الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ بِالَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ لِتَقْرِيبِ تَصْوِيرِ الْوَسْوَسَةِ كَيْ يَتَّقِيَهَا الْمَرْءُ إِذَا اعْتَرَتْهُ لِخَفَائِهَا، وَذَلِكَ بِأَنْ بُيِّنَ أَنَّ مَكَانَ إِلْقَاءِ الْوَسْوَسَةِ هُوَ صُدُورُ النَّاسِ وَبَوَاطِنُهُمْ فَعَبَّرَ بِهَا عَنِ الْإِحْسَاسِ النَّفْسِيِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ [غافر: 56] وَقَالَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ وَتَرَدَّدَ فِي الْقَلْبِ)، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالصُّدُورِ الْقُلُوبَ ; لِكَوْنِهَا حَالَةً فِي الصُّدُورِ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ وَإِرَادَةِ الْحَالِّ عَلَى مَا هُوَ جَارٍ فِي الْأَسَالِيبِ الْبَلَاغِيَّةِ (الشنقيطي، 1995، ج9، ص178) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنص "والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس"، (في باب تفسير البر والإثم، وبرقم 1980، ج4، 2553)

المطلب الثاني: دراسة احصائية تحليلية للسورة ودلالة التحليل الصوتي لها

أولًا: الدراسة الاحصائية لحروف وحركات السورة

الشكل رقم (2)

الصوامت		عددها		الحركات	عددها	أنصاف الحركة	
ء	3	ص	1	a a	8	الواو	5
ب	3	ع	1			الياء	1
ت	1	ف	1			المجموع 6	
ج	1	ق	1	u u	2		
خ	1	ك	1				
د	1	ل	8				
ذ	2	م	3	i i	2		
ر	4	ن	16	مجموع 12			
س	10	ه	1	A	12		
ش	1			U	5		
المجموع 60				I	14		
				مجموع 31			
				مجموع الحركات 43			
مجموع الأصوات اللغوية 109							

دراسة احصائية لمقاطع السورة

الشكل رقم (3)

المقاطع	نوعها	عددها
ص ح	مقطع قصير	14
ص ح ح	متوسط مفتوح	6
ص ح ص	متوسط مغلق	17
ص ح ح ص	طويل مغلق	6
المجموع 43		

ثانيًا: دلالة التحليل الصوتي لسورة الناس:

من خلال الجدول السابق يتضح لنا النسبة المتوافقة والمتطابقة بين الصوامت الواضحة، وبين الحركات والمقاطع الأكثر وضوحاً وتكرارًا في السورة، فنجد أن:

مجموع الصوامت الأكثر تكرارً = مجموع الحركات الطويلة والقصيرة= مجموع المقاطع الأكثر تكرارًا وهي: س+ ن+ و=31 مجموع الحركات= 31، مجموع المقاطع المتكررة= ص ح+ ص ح ص =31، وكما هناك ترابط وثيق بتكرار الصامتين السين والنون مع تكرار المدود وحركة الكسر الغالبة في السورة فنجد أن: س+ ن= 26، ومجموع المدود + الكسرة = 26، وهذا إن دلَّ فإنه يدل على مدى التناسب الصوتي مع مضمون الوسوسة وخفائها وقوة تأثيرها على النفس البشرية، فتتساوي فيها دلالة صفير السين واحتكاكها مجتمعة بخفاء الغنة وبروز نغمتها في السياق طول المدود ورخاوتها وبروز الكسر في النطق وشدته؛ ليحقق المعنى العام للوسوسة من الخفاء والهمس وطول المعاناة وشدتها، الأمر الذي حققه اجتماع حرف الشين والراء في كلمة (شر)، فالشين من الحروف الاحتكاكية الرخوة كالسين، إلا أنها تنفرد بصفة التفشي الذي هو انتشار الهواء انتشار خروج هواء النفس بين اللسان والحنك بسبب انبساط مقدم اللسان عند النطق بهذا الحرف (جبل، 2006، ص68)، ويقول الشاطبي « حروف التفشي وهي أربعة مجموعة في قولك مشفر، وهي حروف فيها غنة، ونفش، وتأفف، وتكرار، وإنما قيل لها حروف التفشي وإن كان التفشي في الشين خاصة؛ لأن الباقية مقاربة له، ولأن الشين بما فيه من التفشي ينتشر الصوت منه ويتفشى حتى يتصل إلى مخارج الباقية » (أبو شامة، ج2، ص753) واجتماع الشين مع حرف الراء المتصفة أيضًا بالتفشي

والمنفردة بصفة التكرير، إضافة كون الراء كما صنفه المحدثون من الأصوات المطبقة ، إي ما ينطبق فيها اللسان بالحنك الأعلى عند النطق به، كل ذلك يدل دلالة صوتية واضحة بتفشي شر الوسوسة وتكرارها على الموسوس وإطباقها على ذهنه.

وذكر العقاد دلالة الصوامت الاحتكاكية المهموسة الخمسة عشر إضافة إلى إيحائها السابق بأنها تشعرنا بما يحققه العياذ بالله من راحة واطمئنان وأمان فإن هناك تناسبًا موسيقيًا فنيًا بين الحروف المتقاربة» (العقاد، 1995، ص10) كما نجد صوت النون الذي هو من الأصوات الأنفية وهي "من الأصوات الرنانة ذات الجرس العالي في اللغة العربية، وهو جرس يستلذه السمع بما يشكله من صور سمعية تتساوق مع النغمة التي جرسها من جوهر الغنة وهي مبعث التطريب، وعنصر رئيس من عناصر البيان المنتج للمعنى"، وحرف النون ورد في كلمة (الناس، الخناس، الجنة) وتكررت 16 مرة وكانت جميعاً في فواصل الآية، وكانت مدغمة فيها جميعًا، فتميزت بالغنة التي أضفت عنصر التطريب وشدَّت انتباه السامعين لها بنغمة سماعية رنانة، الأمر الذي كان له دلالة صوتية بارزة، فتكرار هذه النغمة في كل مرة تقف فيها السورة؛ لتدلل على كون الناس هم المقصودون بالانتباه في كل مرة، وبيانًا للوسواس بأنه الخناس الذي يظهر ويختفي في فاصلة (الخناس)، ويبين هذا الخناس ربما جنيًا أم أنسيًا، فيكون من الجنة بنغمة تهبط بانحراف اللام وشدة الجيم وارتفاع نغمة النون وغنتها لتركز المعنى على نوع هذه الوسوسة الذي لا يتبادر إلى الذهن نوعها ليأتي حرف الواو عاطفًا ومتوسطًا بين النوعين، وهو صوت يقع متوسطًا أيضًا بين الشدة والرخاوة؛ فحرف الواو والنون والألف في كلمة الناس تجعل نغمة الفاصلة الأخيرة للآية أقل علوًا من الفواصل السابقة، فاجتماع هذه الحروف التي تتميز بالاستيفال الذي ينخفض فيه اللسان عند الحنك الأعلى إلى قاع الفم عند النطق تنهي الآية بنغمة تناسب البيان الختامي للسورة.

ومن خلال هذا التحليل يتضح لنا « أن استقلالية أيَّة كلمة بحروف معينة، يكسبها صوتيًا وذائقة سمعية منفردة تختلف — دون شك– عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه مما يجعل كلمة ما دون أخرى وإن اتحدتا بالمعنى، لها استقلاليتها الصوتية،...إما بتكثيف المعنى بزيادة المعنى بزيادة المبنى، وإما بإقبال العاطفة وإما بزيادة التوقع، فهي حينًا تصك السمع، وحينًا تهيئ النفس، وحينًا تضفي صيغة التأثر: فزعًا من شيء، أو توجهًا

لشيء، أو طمعًا في شيء، وهكذا هذا المناخ الحافل تضفيه الدلالة الصوتية للألفاظ، وهي تشكل في القرآن الوقع الخاص المتجلي بكلمات مختارة، تكونت من حروف مختارة، فشكلت أصواتًا مختارة » (الصغير، 2000، ص 164)

كما لاحظت من خلال التحليل الصوتي للسورة ومن خلال الدراسات السابقة لهذه السورة وجدت أن أغلب الدراسات القديمة، والحديثة التي وقعت بين يدي، قامت بتحليل وتفسير كل ما يتعلق بالسورة باستثناء كلمة واحدة وهي أساس المعنى العام للسورة –في اعتقادي والله أعلم– وهي كلمة (شر) فمن خلال تتبع التحليل الصوتي الحديث والدراسات التي قامت على هذه السورة ركزوا على دلالة صوت السين والتكرار والقليل من درس مقاطع السورة فمعظمهم أغفل كلمة شر الواردة مرة واحدة، ومدى دلالته في الربط بين الآيات وموقعها داخل السورة، فكلمة (شر) التي ربطت دلالة الآيات بعدها بها، وأكملت دلالة الآيات السابقة لها فـ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من﴾ ---> **﴿شر﴾** -----> ﴿الوسواس الخناس / الذي يوسوس في صدور الناس﴾ (البيان) ----> من الجنة والناس فهي مركز السورة، وعند تحليلنا لدلالة صوت الشين والراء وجدنا أن:

الشين من أبرز صفاتها التفشي، الذي هو انتشار الصوت والهواء والهمس والذي هو جريان النفس، وكذلك يخرج حرف الشين من وسط اللسان، بين اللسان والحنك بسبب انبساط مقدم اللسان عند النطق بهذا الحرف –كما سبق وإن ذكرنا – فهذا يدل على عمق هذا الحرف وسرعة انتشاره وقوته، كما صنف المحدثون حرف الشين من الأصوات الاحتكاكية الرخوة وحرف الراء من ضمن الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة' كما سبق في صفات الحروف.

والراء المكررة الدالة على استمرارية في الحدوث ، وموقع(كلمة شر) في وسط الآيات يدل على عمق الانتشار، وتكراره، وكذلك موضع خروج حرف الشين من وسط اللسان يشير إلى عمق هذا الحرف وسرعة انتشاره وقوته، مما يدلل على سرعة وقوة تأثير الوسواس على العقول، وهذا يدل على دقة اللفظ القرآني ومدي ملائمته الفائقة للمعنى المراد، فكلمة (شر) كانت الأنسب لهذه السورة من أي كلمة أخرى مثل :كيد، أو خطر، أو غيرها من الكلمات.

أما بالنسبة لمقاطع السورة فنلاحظ « ترتيب مقطعي سلس، يحولُ بين اللسان وتعثره في أثناء القراءة، فليس هناك تتابع لثلاثة مقاطع قصيرة أو أكثر، أضف إلى ذلك، أنَّ مقاطع هذه السورة: القصير، والمتوسط المغلق، والمتوسط المفتوح، التي يبلغ مجموعها السبعة والثلاثين من 43 مقطعًا تمثل أسهل المقاطع العربية» (عناد، 2011، ص140).

نتائج البحث

1- إنّ الجانب الصوتي في اللغة العربية بصورة عامة، وفي القرآن الكريم بصورة خاصة، عنصر أساسي مهم، لبلوغ المعنى وفهمه الفهم الجيد.

2- إنّ العديد من علمائنا القدامى كانوا قد تَنبَّهوا إلى أهمية الجانب الصوتي، وأشاروا إلى ما تحمله الأصوات اللغوية من معان، ودلالات، وإيحاءات.

3- إن الصورة الفنية للسياق القرآني، تتشكل من امتزاج الصُّورة البيانية بالصورة الصوتية والإيقاعيّة.

4- يوجد ظواهر صوتية كثيرة في القرآن، تحمل دلالات خاصة، ومؤثرة في فهم المعنى منها: التكرار، والحركة، والإيقاع الصوتي للحرف، والكلمة، والفاصلة القرآنية، وخصائص الفونيم، والمقطع داخل الجملة القرآنية.

5- هناك تناسب واضح بين ألفاظ (رب، ملك، إله) التي وردت في السورة ومع خاتمة الآية الشاملة (الجنة والناس).

6- إنّ كلَّ حرف من الحروف الثلاثة ؛ (ن) و (ا) و (س) التي تتصدر آيات السورة تدلُّ دلالةً قويةً على معنى (الوسوسة) التي تتحدث عنها السورة، وتختزل في طبيعتها الصوتية محاكاة طبيعية لخفاء النون، وطول المد، وضعف السين، فتوحي بتكرارها ما تنطوي عليه الوسوسة من دلالات الضعف، والطول، والخفاء.

7- إنّ تكرار حرف النون والغنة أثناء تلاوة جميع فواصل السورة، مصاحبة للمد، ربما كان يُشيرُ إلى الانغلاق، والطّمس، والضعف الذي ابتُلي به الموسوس، وطول معاناته لحبس النفس في هذا الوهم، ومؤشرًا مهمًا لمدى خطورة هذا الشر.

8- كلمة (شر) في السورة كانت هي مركز السورة، والرابط بين آياتها، ودلالة حروفها عبرت عن المعنى بدقة، ودلت على الخطورة الكامنة في تفشي الوسوسة وضررها.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولاً: الكتب:

– أنيس إبراهيم ، (1976)، دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية.

– أنيس إبراهيم، (1966)، من أسرار اللغة ط3، مكتبة الأنجلو المصرية .

– أنيس، إبراهيم، (1952)، موسيقى الشعر، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية.

– أنيس، إبراهيم، (ب ت)، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر.

– أيوب، عبد الرحمن، (1968)، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، مصر.

– البخاري، (1987)، الجامع الصحيح، ط3، تحقيق: مصطفى ديب، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

– بركة، بسام، (ب ت)، علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربي)، مركز الإنماء القومي، لبنان.

– بشر، كمال محمد، (2000)، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة.

– البقاعي، (1987)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ط1، مكتبة المعارف، الرياض.

– البقاعي، (2002)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1998)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة.

– أبوجبل، محمد حسن، (2006)، المختصر في أصوات اللغة العربية،ط4، مكتبة الآداب، القاهرة.

– ابن جني، (1985)، سر صناعة الإعراب، ط1، تحقيق : حسن هنداوي، دار القلم، دمشق.

– ابن جني، (ب ت)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الحجازي، محمود فهمي، (1997)، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة.
- حسان، تمام ، (1990)، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية
- الحمد، غانم قدوري، (2007)، الدراسات الصوتية لدى علماء التجويد، ط7، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن.
- أبوحيان، (1420هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد، دار الفكر، بيروت.
- خليل، حلمي، (1998)، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الداني، أبو عمرو، (1994)، البيان في عدّ آي القرآن: لأبي عمرو الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط1، مركز المخطوطات والتراث، الكويت.
- الراجحي، عبده، (1972)، فقه اللغة في الكتب العربية دار النهضة العربية، بيروت.
- الرازي، (ب ت)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزمخشري، (1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت
- الزمخشري، أبو القاسم محمود، (1993)، المفصل في صنعة الإعراب، ط1 ،تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت.
- زوين، علي، (1986)، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- سعران، محمود، (ب ت)، علم اللغة مقدمة للقارئ العرب، دار النهضة العربية، بيروت.
- سلطان، منير، (ب ت)، الفصل والوصل في القرآن الكريم، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- سيبويه، (1988)، الكتاب، ط3، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- أبوشامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، (ب ت)، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- شاهين، توفيق، (1980)، علم اللغة العام، ط1، دار التضامن للطباعة، القاهرة.
- شاهين، عبد الصبور، (ب ت)، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- شاهين، عبد الصبور، (1980)، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الشنقيطي، (1995)، ضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت.
- شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر، (ب ت)، حاشية الشهاب عَلَى تفسير البيضاوِي، (عناية القَاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، دار صادر، بيروت.
- الصالح، صبحي، (2004)، دراسات في فقه اللّغة ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت.
- الصغير، محمد، (2000)، الصوت اللغوي، ط1، دار المؤرخ العربي، بيروت.
- عاشور، محمد الطاهر، (1984)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
- عبد التواب، رمضان، (1997)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عبد العزيز، الصيغ، (2007)، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط1، دار الفكر، دمشق.
- عطية، خليل إبراهيم، (1983)، البحث الصوتي عند العرب: خليل إبراهيم عطية، منشورات دار الجاحظ، بغداد.
- العقاد عباس محمود، (2012)، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي .
- العقاد، عباس محمود، (1995)، اللغة الشاعرة، نهضة مصر، القاهرة.
- علي، أسعد، (1985)، تهذيب المقدمة اللغوي للعلايلي، ط3، دار السؤال، دمشق.
- الفيروزآبادي، (2005)، القاموس المحيط ،ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (1996)، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (1410هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت.
- ليونز، جون، (1987)، علم اللغة ،ط1، دار النهضة العربية، القاهرة.
- ابن المبارك، محمد، (1964)، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط 2 ، دمشق.
- مختار، أحمد، (2003)، البحث اللغوي عند العرب، ط8 ، عالم الكتب، القاهرة.
- مختار، أحمد، (1997)، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة.
- مختار، أحمد، (1998)، أسس علم اللغة، ط8، عالم الكتب، القاهرة.
- المطعني، عبد العظيم، (1992)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة.
- نور الدين، عصام، (1992)، علم الصوتيات الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني، بيروت.
- النوري، محمد جواد، (2007)، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة.
- أبوالهجاء، خلدون، (2006)، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث، الأردن.
- ابن يعيش، (2001)، شرح المفصل، تحقيق : إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانيًا: البحوث والمقالات والرسائل الجامعية:

- أحمد، مهدي عناد، (2011)، "التحليل الصوتي للنص بعض قصار السور نموذجًا" رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- الزيدي، ابتهال كاصد، (2004)، البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد.
- مصطفى إبراهيم، (2002)، البنية الصوتية ودلالتها في شعر عبد الناصر صالح، رسالة ماجستير، جامعة غزة، كلية الآداب.
- النجار، نادية، (2007)، الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها، بحث منشور بكتاب المؤتمر العلمي التاسع بكلية دار العلوم.